بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواسع الفضل والجود، الذي خضعت له السموات السبع والأرض ومن فيهن، تنـزه عن الأنداد والأركان والآلات، لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان، خلق العرش إظهارا لقدرته، لا مكانا لذاته، قد كان ولا مكان، وهو الآن على ما كان عليه قبل خلق المكان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تكون ذخرا لنا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبياءه وعلى آله وصحابته الكرام أجمعين.

وبعد: فاعلم أن العقيدة الصحيحة هي سبيل الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا اتجهت هِمَمُ الدعاة إلى الله قاطبة إلى بناء العقيدة في النفوس لأنـها أهم شيء يشتغل به المؤمن الصادق في إيمانه خصوصا في هذا العصر الذي رفع كل مبتدع رايته مدعيا أنه على هدي السلف الصالح:

وكل يدعون وصال ليلى وليلى لا تقر لهم بذاك

وآراء أهل البدع ومعتقداتـهم واهية ساقطة ولولا خوف اغترار العامة بـهم لما شغلت الأقلام في الرد عليهم، والذي دعاني إلى كتابة هذه السطور ما ظهر في هذه البلاد من خوض المبتدعة الجهلة في صفات الله تعالى والنسبة إليه تعالى ما لم يأذن به في كتاب سماوي أو سنة نبوية مثل الجهة والعلوّ الحسي، والمنع من التأويل إذا كان لا يتماشى مع معتقداتـهم الفاسدة، وفتح بابه إذا كان يوافق مشاربـهم الكدرة، فهم يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما، فسبحان من له في خلقه شؤون، فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية، ومن اقتفى آثارهم المغبوطة، لأنـهم الذين تمسكوا بأذيال الكتاب والسنة في صفات الله تبارك وتعالى، وقد قال الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي في كتابه ((معيد النعم ومبيد النقم)) ص75: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة، ولله الحمد في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الإعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم وبرّأ الله المالكية فلم نر مالكيا إلا أشعريا عقيدة، وبالجملة عقيدة الأشعرية هي ما تضمّنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة. انتهى ما نقلته عن الحافظ تاج الدين السبكي.

هذا ولم أقصد بـهذه السطور أن تكون كتابا مستقلا في هذا الموضوع وإنما قصدت أن تكون مقدمة لكتب العقائد السبعة التي دأب علماء هذه الأقطار تدريسها وقد أرجأت البحث والتفصيل في هذه المسائل إلى حين آخر إن شاء الله تعالى .

وليس لي في كتابة هذه السطور إلا جمع ما تفرق في بطون كتب الأئمة فأنا قصير الباع كليل الفهم لا أحسن السباحة
في البحوث العلمية، ولكن أرجو من الله تعالى التيسير في كل عسير، فلا حول ولا قوة إلا بالله .
فهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود

التاويل والسلف الصالح

إعلم أن التأويل لغة هو من آل يؤول أي رجع، واصطلاحا حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله بدليل يعضده، فهذا التأويل قد ثبت في الكتاب والسنة النبوية ثبوتا قطعيا لا يخالف فيه

أحد، ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: {نسوا الله فنسيهم} وقوله تعالى: {فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا}، أفيجوز نسبة النسيان لله تعالى، وهو نوع من الغفلة، قال تعالى: {وما كان ربك نسيا} ولا يسوغ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقول: النسيان صفة من صفات الله تعالى، ولكنه ليس كنسياننا، أو أن يقول: هو نسيان يليق بجلاله.
وفي تفسير الإمام ابن جرير الطبري السلفي جـ3ص619{فاليوم ننساهم} أي نتركهم في العذاب. فأنت ترى يا من يؤمن بالله أن ابن جرير السلفي يؤول النسيان الوارد في الكتاب بالترك، ومثل ذلك في ((سنن الترمذي)) جـ7ص138 قال أبو عيسى الترمذي: وقد فسّر بعض أهل العلم هذه الآية {فاليوم ننساهم} قالوا: إنما معناه: اليوم نتركهم في العذاب.
وهذا ترجمان القرآن، وحبر أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه يؤول قول الله تعالى: {يوم يكشف عن ساق} بيكشف عن شدة، نقل ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره جـ7ص384
.

وذكر ذلك أيضا الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) جـ13ص428، وابن الجوزي في ((دفع شبه التشبيه)) ص18 قال: قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وقتادة وجمهور العلماء: يكشف عن شدة. وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى يقول:{ياابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده}. فهل يجوز لنا أن نقول: إن لله صفة المرض لأنـها ذكرت في حديث صحيح، وهل يجوز أن نعتقد أن العبد إذا مرض مرض الله تعالى أيضا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وأوّلَ عبد الله بن عباس أيضا قول الله تعالى: {والسماء بنيناها بأيد} قال: بقوة، كما في تفسير ابن جرير الطبري جـ7ص92 نقل ذلك ابن جرير عن جماعة من السلف الصالح منهم مجاهد وقتادة ومنصور

وسفيان، وهذا الإمام أحمد بن حنبل يؤول قول الله تعالى: {وجاء ربك } قال الحافظ ابن كثير في كتابه ((البداية والنهاية)) جـ10ص327: روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو

السماك عن حنبل أن أحمد ابن حنبل تأول قول الله تعالى {وجاء ربك} بجاء ثوابه. ثم قال البيهقي وهذا إسناد لا غبار عليه.
وهذا هو الإمام البخاري صاحب الصحيح يؤول الضحك الوارد في السنة، نقل الحافظ البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص433 عن البخاري أنه قال: معنى الضحك الرحمة. وأول النضر ابن شميل السلفي حديث {حتى يضع الجبار فيها قدمه} قال: إن معناه من سبق في علمه أنه من أهل النار. ذكر ذلك البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص330. ونقل الحافظ ابن الجوزي في كتابه ((دفع شبه التشبيه))ص223 والبيهقي في ((الأسماء والصفات))ص426 أن الإمام سفيان بن عيينة تأوّل حديث {آخر وطأة وطأها الرحمن بوجّ}بقوله: إن معناه آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائف.
وذكر الإمام الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) جـ7ص 418 أن الإمام مالكا رحمه الله تعالى أول النـزول الوارد في الحديث فقال: قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: ينـزل ربنا تبارك وتعالى أي أمره، فأما هو فدائم لا يزول، قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن

بكير فقال: حسن، والله لم أسمعه من مالك. وأوّل الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الذي وصفه الذهبي بقوله: هو شيخ الإسلام إمام الحفاظ سيد العلماء العاملين في زمانه قوله تعالى: {وهو معكم أينما كنتم} قال: هو علمه، كما نقله الإمام الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) جـ7ص207. وأوّل سفيان الثوري أيضا قوله تعالى: {سنستدرجهم من حيث لا يعلمون} قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر. ذكر ذلك الذهبي في ((سير أعلام النبلاء)) جـ7ص190. وكذلك أوّل المفسر الكبير التابعي مجاهد قول الله تعالى: {أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله} قال مجاهد: يعني ضيعت من أمر الله. ذكر ذلك البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص339 . وأوّل حماد بن زيد حديث النـزول، فقال: نزوله إقباله. ذكر ذلك الحافظ البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص 421.
فهذه نصوص واضحة ثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تأويل صفات الله تعالى فأين يذهب أولئك الذين ينكرون التأويل ويرونه ضلالا وبدعة وتجهما وتعطيلا.

فالسادة الأشاعرة على هذه الجادة الواضحة التي عليها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل القرون الثلاثة من أئمة الدين ونقلة السنن والواسطة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فو الله الذي لا إله غيره

لا يرجى فلاح من ناوءهم وعاداهم وتبرأ من عقيدتـهم الصحيحة لأنـهم لم يخترعوا منهجا ومذهبا جديدا بل إنما ساروا على المحجة البيضاء التي سار عليها نبي هذه الأمة والقرون المفضلة بشهادته صلى الله عليه وسلم، ولله در حافظ الدنيا ابن عساكر حيث يقول في كتابه ((تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام أبي الحسن الأشعري)) ص340: إنما أقام أبو الحسن من مذاهب أهل السنة ما صار عند المبتدعة دارسا وأوضح من أقوال من تقدمه من الأئمة وغيرهم ما غدا ملتبسا وجدد من معالم الشريعة ما أصبح بتكذيب من اعتدى منطمسا ولسنا ننتسب بمذهبنا في التوجيد على معنى أنا نقلده فيه ونعتمد عليه ولكننا نوافقه على ما صار إليه من التوحيد لقيام الأدلة على صحته لا لمرد التقليد وإنما ينتسب منا من انتسب إلى مذهبه ليتميز عن المبتدعة الذين لا يقولون به من أصناف المعتزلة والجهمية

المعطلة والمسمة والكرامية والمشبهة وغيرهم من سائر الطوائف المبتدعة وأصحاب المقالات الفاسدة المخترعة لأن الأشعري هو الذي انتدب للرد عليهم حتى قمعهم وأظهر لمن لم يعرف البدع بدعهم وهذا كقول إمامنا الشافعي المطلبي ابن عم المصطفى النبي صلى الله عليه وسلم يعني حين رمي بالرفض:

ياراكبا قف بالمحصّب من منى واهتف بقاطن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضا حب آل محمد فليشهد الثقلان أنـي رافضي

وأنشدت لبعضهم في المعنى المتقدم:

إن اعتقاد الأشعـري مسدد لا يمتري في الحق إلا ممتري
وبه يقول العالمون بأسرهـم من بين ذي قلم وصاحب منبر
إن كان من ينفي النقائص كلها عن ربـه ترمونـه بتمشعر
وترونه ذا بدعـة في عقلـه فليشهد الثقلان أني أشعري

انتهى باختصار يسير اقتضاه المقام.

فيا أيها المسلم الغيور الحريص على حماية الدين الله الله في عقيدتك لا تفسدها لهوى مبتدع مريد أو جاهل مغرض عدو لنفسه ودينه

وأخراه ودنياه. وقال الإمام النووي في ((شرح صحيح مسلم)) جـ6ص37 عند شرحه حديث {ينـزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا}: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء، أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنـها حق على ما يليق بالله وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنـزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق. والثاني وهو مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي أنـها

تتأول على ما يليق بالله بحسب مواطنها فعلى هذا تأوّلوا هذا الحديث بأن معناه تنـزل رحمته وأمره وملائكته، أو أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين. وقال أيضا في جـ3ص19: اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين: أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بـها ونعتقد لها معنى يليق بجلاله مع اعتقادنا الجازم بأن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منـزه عن الجسم والانتقال

والتحيز في الجهة. والقول الثاني أنـها تتأول على ما يليق به تعالى. وقال أيضا في جـ8 ص204 عند شرحه حديث {إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن}: هذا من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان، أحدهما الإيمان بـها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بأنـها حق وأن ظاهرها غير مراد، قال تعالى: {ليس كمثله شيء}. والثاني يتأول بحسب ما يليق به تعالى، فعلى هذا المراد بالحديث الماز.
واعلم أيها الأخ المسلم الكريم أن التفويض كان أيضا مذهب سلفنا الصالح رحمة الله عليهم فكانوا يفوضون معاني الصفات ولا يخوضون فيها خوض المبتدعة الجفاة فإنـهم ضلوا في مذهب التفويض فيقولون في نحو قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}: الاستواء على حقيقته المعهودة، ولكن نفوض إلى الله تعالى كيفيته. وفي قوله تعالى: {يد الله فوق أيديهم} اليد على حقيقتها ولكن نفوض كيفيتها. وهلم جرّا.
فتراهم يعتقدون في الله الكيف مع تشدقهم بقولهم لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه وأين وردت الكيفية في كتاب الله وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم حتى نفوضها، وقد أجمع سلفنا الصالح على أن الله منـزه عن الكيفية فهاك أقولهم:
ففي ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) جـ 13ص407 أنه سئل الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات فقالوا:أمّروها كما جاءت بلا كيف.
وأسند البيهقي بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفنان ابن عيينة قال: كل ما وصف الله به نفسه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه. ومن طريق أبي بكر الضبعي قال: مذهب أهل السنة في قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} بلا كيف .
وقال الترمذي في باب فضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بـها ولا نتوهم ولا يقال: كيف. كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنـهم أمرّوها بلا كيف، وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة. وقال في ((الفتح)) جـ13ص407: أخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد ابن سلمة وشريك وأبوعوانة لا يحدون ولا يشّبهون، ويروون هذه الأحاديث ولا يقولون: كيف.

والآثار في نفي الكيفية عن الله تعالى ثابتة ومستفيضة عن السلف الصالح وفي ذلك كفاية لمن له أذن واعية أو ألقى السمع وهو شهيد. وقد قيل قديما:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

فترى أيها الأخ الكريم أن المبتدعة لا يوافقون السلف في التأويل لأنـهم يرونـه ابتداعا، ولا في التفويض لأنـهم يفوضون الكيف، والكيف عنه مرفوع، فهم في واد والسلف الصالح في واد آخر.

الإستواء وما قال السلف الصالح عنه

اعلم أنه قد ضلت المبتدعة في عصرنا في فهم قوله تعالى: {الرحمن على العرش استوى}كما ضلت المبتدعة المشبهة في العصور الغابرة. قال الحافظ تاج الدين عبد الوهاب السبكي في ((طبقات الشافعية الكبرى))جـ9ص47 نقلا عن الإمام ابن جهبل : هذه الآية عمدة المشبهة وأقوى معتمدهم حتى إنـهم كتبوها على باب جامع همذان.

وقال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتابه ((دفع شبه التشبيه)) ص122: قد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا: استوى على العرش بذاته وهي زيادة لم تنقل إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوي على الشيء إنما تستوي عليه ذاته اهـ.

وللسلف الصالح في هذه الآية مسلكان على ضوء الكتاب والسنة، الأول تفويض معناها إلى قائلها جل شأنه، فيقال: استواؤه تعالى استواء يليق بجلاله ولا نخوض فيه. قال أبو الفداء الحافظ اسماعيل ابن كثير في تفسيره جـ2 ص220 عند كلامه في قوله تعالى: {ثم استوى على العرش}: فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير اهـ

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الفتح)) جـ13ص407: أخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال: كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله {الرحمن على العرش استوى} كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه. والمسلك الثاني: تأويل الاستواء بعلو الملك والسلطنة ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره عند كلامه في قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء} جـ1ص192 قال: فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال اهـ

فإذا أردت السلامة لدينك وعقيدتك فاسلك أحد هذين المسلكين لتنجو من ورطة الابتداع والتشبيه والتجسيم، فترى أيها المسلم الحريص على حماية عقيدته أن هؤلاء المبتدعة لم يوافقوا سلفنا الصالح في واحد من هذين المسلكين، فإذا أرادوا أن يفوضوا يقولون: نحن نفوض الكيف مع أن سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين أنكروا التكييف في صفات الله تعالى كما تقدم لنا

مرارا ولا يلتفتون إلى التأويل أصلا لأنـهم يرونه كما يزعمون ضلالا وابتداعا وقد علمت أكثر من مرة أن التأويل من مذهب السلف الصالح فتراهم يحيدون عن مذهب السلف الصالح فيقولون عند كلامهم في الاستواء: استوى على العرش بذاته، واستوى على العرش حقيقة فيزيدون على النص ما لم يأذن به الله فأين وردت كلمة بذاته وحقيقة في الكتاب والسنة فيريدون بذلك أن يثبتوا لله تعالى مكانا وعلوّا ذاتيّا مع تظافر الآيات السماوية والأحاديث النبوية على نفي المكان والجهة عن الله تعالى.
فمن الأحاديث ما رواه البخاري في صحيحه {إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته}قال ابن حجر في ((الفتح)) جـ1ص508: وفيه الرد على من زعم أنه تعالى على العرش استوى بذاته .
ومنها ما رواه مسلم في صحيحه ((اللهم أنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء)).
قال الحافظ البيهقي ((في الأسماء والصفات)) ص409: استدل بعض أصحابنا بـهذا الحديث على نفي المكان عن الله تعالى فإذا لم يكن

فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان، فاتضح بـهذين الحديثين الصحيحين اللذين رواهما البخاري ومسلم أنما تشيعه المبتدعة من أن الله في جهة العلو بذاته مضاد ومخالف لما جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى، وربما قال قائلهم : أتنكرون صفة العلو الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله التوفيق: نحن نقر بعلو الله تعالى في جميع صفاته علوا معنويا كما درج عليه سلف هذه الأمة، والذي تنكره الملة الحنفية هو العلو الذاتي، وهاك ما قاله الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) جـ6ص 136: ولا يلزم من كون جهتي العلو والسفل محالا على الله تعالى أن لا يوصف بالعلو لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى والمستحيل كون ذلك من جهة الحسّ اهـ
وقد ذكر العلماء الذين ألّفوا في الملل والنحل أن إثبات المكان لله تعالى من اختراعات وخزعبلات الرافضة، قال الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه ((الفرق بين الفرق)) ص65: زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونـهاية وقال: قد كان الله ولا مكان ثم خلق المكان بأن تحرك فحدث مكانه بحركته فصار فيه

ومكانه هو العرش وقال في معبوده: إنه سبعة أشبار بشبر نفسه، كأنه قاسه على الإنسان لأن كل إنسان في الغالب من العادة سبعة أشبار بشبر نفسه. وذكر أبو الهذيل في بعض كتبه أنه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل أبي قبيس فسأله أيهما أكبر معبوده أم هذا الجبل، قال: فأشار إلى أن الجبل يوفي عليه تعالى، وأن الجبل أعظم منه انتهى ما قاله عبد القاهر البغدادي .

ومما يستدلون على العلو المكاني الذاتي قوله تعالى: {إليه يصعد الكلم الطيب} وهاك ما قاله المفسرون والمحدثون عن هذه الأية، قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) جـ13ص416: قال البيهقي: صعود الكلم الطيب والصدقة الطيبة عبارة عن القبول وعروج الملائكة هو إلى منازلهم في السماء. وقال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على الجهمية المسمة في تعلقها بـهذه الظواهر وقد تقرر أن الله ليس بجسم فلا يحتاج إلى مكان يستقر فيه فقد كان ولا مكان وإنما أضاف المعارج إليه إضافة تشريف ومعنى الارتفاع إليه اعتلاؤه مع تنـزيهه عن المكان. انتهى ما قاله الحافظ.

فهذان إمامان حافظان جبلان جليلان لا يشك في صلابتهما في الدين إلا مبتدع خبيث النية ينفيان عن الله المكان بل ذكر الإمام عبد القاهر البغدادي في كتابه ((الفرق بين الفرق)) ص333 أن هذه المسئلة مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، قال: وأجمعوا على أنه لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان على خلاف قول من زعم من الهشامية والكرامية أنه مماس لعرشه، وقد قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إن الله تعالى خلق العرش إظهارا لقدرته لا مكانا لذاته، وقال أيضا: قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان اهـ

فاحمد إلهك أيها السني إذ عافاك الله من عقائد الرافضة والحشوية ومن اقتفى آثارهما الوخيمة فو الله لا يرضى بإثبات الجهة لله تعالى إلا مطعون في إيمانه متبع لخطوات الشياطين وأين هم من أقوال السلف الصالح الذين ينفون عن الله الجهة. ففي الطحاوية ولا تحويه الجهات الست. اللهم إنا نسألك السلامة في ديننا والعافية في عقولنا وأبداننا، فكيف يفعل من يعتقد العلو الذاتي بقوله تعالى: {وهو الله في السموات وفي الأرض} {وعجلت إليك رب لترضى} هل ذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى جهة السماء،

{ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله} فهل كانت هجرة المسلمين إلى جهة العرش؟ {فأتى الله بنيانـهم من القواعد} ونحو ذلك، فإن قالوا نأول بما يتناسب مع عقيدتنا من علمه تعالى وقدرته ورضاه فنقول لهم: ألستم الذين يعتقدون أن التأويل بدعة وضلالة أتحلونه عاما وتحرمونه عاما، كدأب الجاهلية الأولى فيا أيتها المبتدعة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نفتح باب التأويل كله فنأول النصوص الموهمة لجهة السماء والأرض أو نسد باب التأويل كله أو نقتصر على ما أوله السلف ونسكت عما عداه.

قال العلامة محمد زاهد الكوثري في تحقيقه على كتاب ((الأسماء والصفات)) للبيهقي ص433: وقد قال أبوبكر بن العربي في ((العواصم والقواصم)): الأحاديث الصحيحة في هذا الباب يعني في باب الصفات على ثلاث مراتب، الأولى ما ورد من الألفاظ وهو كمال محض، ليس للنقائص والآفات فيه حظ فهذا يجب إعتقاده، الثانية ما ورد وهو نقص محض فهذا ليس لله فيه نصيب، فلا يضاف إليه إلا وهو محجوب عنه في المعنى ضرورة كقوله:

{عبدي مرضت فلم تعدني} وما أشبهه، الثالثة ما يكون كمالا ولكنه يوهم تشبيها، فأما الذي ورد كمالا محضا كالوحدانية والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والإحاطة والتدبير وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه ولا توقف، وأما ما ورد بالآفات المحضة والنقائص كقوله تعالى: {من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا} وقوله تعالى: {جعت فلم تطعمني وعطشت فلم تسقني} فقد علم العالم والجاهل أن ذلك كناية عمن تتعلق هذه النقائص به، ولكنه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدسة تكرمة لوليّه وتشريفا واستلطافا للقلوب وتليينا، وإذا جاءت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه وللنقصان بوجه وجب على كل مسلم أن يجعلها كناية عن المعاني التي تجوز عليه وينفي ما لا يجوز عليه، فقوله في اليد والساعد والكف والأصبع عبارات بديعة تدل على معان شريفة فإن الساعد عند العرب عليها كانت تعول في القوة والبطش والشدة، فإضافة الساعد إلى الله تعالى لأن الأمر كله لله انتهى كلام ابن العربي وإنما نقلت مع طوله الذي لا يتناسب بـهذه الرسالة الصغيرة الحجم لأنه كلام جيد عند من له قلب سليم، وقد

استدل الإمام مالك بن أنس على نفي الجهة عن الله تعالى بقوله صلى الله عليه وسلم: {لا تفضلوني على يونس بن متى} فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنـزيه لأنه صلى الله عليه وسلم رُفع إلى العرش ويونس عليه السلام هبط إلى قابوس البحر ونسبتهما مع ذلك من حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة ووافقه على ذلك إمام الحرمين وله في ذلك حكاية مستطرفة لا تناسب هذه السطور ذكر ذلك الحافظ تقي الدين السبكي الكبير في كتابه ((السيف الصقيل في الرد على ابن الزفيل)) ص37.

رد الافتراء على بعض الأئمة من سلف هذه الأمة

من دأب المبتدعة في كل عصر من العصور أن يكذبوا على الأئمة قادة الأمة لأنـهم يعلمون أن المقالة التي تنسب إلى الأئمة لها مكانتها ومزيتها عند المسلمين فيريدون بذلك ترويج بضاعتهم الكاسدة ولا غرو في ذلك فقد افتري على سيد البشر ونسبت إليه أحاديث لا أساس لها فمن العلماء الذين افتروا عليهم الإمام الجليل أبو حنيفة فذكروا أنه قال من قال لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد

كفر لأن الله يقول:{الرحمن على العرش استوى} وعرشه فوق سبع سموات، والجواب أن هذا الكلام افتراء وبـهتان على هذا الإمام لأن راويه عنه الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخي وهو رجل جهمي ضعيف قال الإمام الذهبي في

((ميزان الاعتدال)) جـ 3 ص 656 قال ابن معين ليس بشيء وقال مرة ضعيف وقال البخاري ضعيف صاحب رأي وقال النسائي ضعيف وقال أحمد لا ينبغي أن يروى عنه شيء وقال أبو داود تركوا حديثه وكان جهميا وقال ابن حبان كان من رؤساء المرجئة ممن يبغض السنن ومنتحليها وقال العقيلي حدثنا عبد الله بن أحمد سألت أبي عن أبي مطيع البلخي فقال ينبغي أن لا يروى عنه شيء حكوا عنه أنه يقول الجنة والنار خلقتا وستفنيان وهذا كلام جهم ومات سنة199هـ عن أربع وثمانين سنة اهـ فهذا الرجل الذي يقول عنه البخاري: ضعيف. والإمام أحمد يقول عنه: لا ينبغي أن يروى عنه شيء كيف يعتمد عليه ويؤمن في النقل ولا غرو في أن يتمسكوا بمثل هذه الخزعبلات فالقوم أصحاب خرافات وترهات مع أنه ثبت عن الإمام أبي حنيفة أنه تعرض لنفي المكان عن الله تعالى قال ملا علي القاري في

((شرح الفقه الأكبر)) ص 171 ذكر الشيخ الإمام ابن عبد السلام في كتاب حل الرموز أنه قال قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله إن من قال لا أعرف الله تعالى في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن هذا القول يوهم أن للحق مكانا ومن توهم أن للحق مكانا فهو مشبه ولا شك أن ابن عبد السلام من أجلّ العلماء وأوثقهم فيجب الاعتماد على نقله اهـ.

ومن الأئمة الذين افتروا عليهم الإمام الشافعي نقلوا عنه أنه قال القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء الجواب أن هذا كذب وافتراء لا أساس له من الصحة وإليك بيان ذلك، هذه العقيدة مدسوسة على الإمام كما ذكر ذلك الذهبي في ((الميزان)) جـ 3 ص 656 في ترجمة محمد بن علي أبي طالب العشاري قال الذهبي أدخلوا عليه أشياء فحدث بـها بسلامة الباطن منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء ومنها عقيدة للشافعي وعبد الله بن الحسن بن أحمد

ابن أبي شعيب الذي يزعمون أنه روى هذه العقيدة عن الإمام الشافعي رضي الله عنه ولد بعد وفاة الشافعي بسنتين قال الحافظ أحمد ابن علي الخطيب البغدادي في ((تاريخ بغداد)) جـ9 ص 436: قلت: مولده سنة ست ومائتين انتهى. فاتضح بذلك أنما تذيعه المبتدعة المشهبة في عصرنا من أن الأئمة تؤيد معتقداتـهم التالفة خرافة من أباطيلهم فيلقنون للطلبة الصغار هذه الافتراءات الكاذبة فالله حسيبهم على ذلك .

عرض ما في **كتبهم من الآراء والأهواء المضادة للكتاب والسنة ومذهب السلف الصالح**

اعلم أنه ينبغي للشحيح على عقيدته أن يبتعد عن مطالعة الكتب التي لاتقدر الله حق قدره وتحارب تنـزيه الله تبارك وتعالى وتثبت له التشبيه والتجسيم وتحمل في ثناياها سُما ناقعا وأشياء يندى لها جبين المؤمين الصادق السني فعليك بالكتب المحفوظة عن العقائد الزائغة وعض عليها بالنواجذ فقد كانت الأئمة المقتدى بـهم في السنة يستحيون عن

مطالعة كتب المبتدعة قال قاضي القضاة عبد الوهاب السبكي في كتابه ((معيد النعم ومبيد النقم))ص80 قد كان الشيخ

الإمام يعني والده يقرئ الكشاف فلما انتهى إلى الكلام على قوله تعالى في سورة التكوير إنه لقول رسول كريم أعرض عنه صفحا وكتب ورقة حسنة سماها سبب الانكفاف عن إقراء الكشاف وقال فيها قد رأيت كلامه على قوله تعالى عفا الله عنك وكلامه في سورة التحريم وغير ذلك من الأماكن التي أساء أدبه فيها على خير خلق الله تعالى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأعرضت عن إقراء كتابه حياء من النبي صلى الله عليه وسلم مع في كتابه من الفوائد والنكت البديعة فانظر كلام الشيخ الإمام الذي برز في جميع العلوم وأجمع الموافق والمخالف على أنه بحر البحار معقولا ومنقولا في حق هذا الكتاب الذي اتخذت الأعاجم قراءته ديدنـها اهـ فأود أن أنبه طلبة العلم السنيين الأشعريين على ما في كتب أهل الأهواء من المخازي والفضائح والقبائح فهاك أمثلتها مفصلة أرقامها ومراجعها: ففي الكتاب المسمى ((تسهيل شرح الواسطية)) للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص 25 أن الله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل عز وجل فهناك شيء من الشبه لكن ليس على سبيل المماثلة اهـ

انظر عافاك الله كيف يثبت هذا المؤلف بين الله وبين خلقه شبها تفكر في قوله فهناك شيء من الشبه ثم يتستر بقوله لكن ليس على سبيل المماثلة فأين ورد هذا الكلام في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هلا تمسك بقوله تعالى ليس كمثله شيء فينجو من ورطة التشبيه اللهم إنا نسألك السلامة في ديننا وقال في ص 21: هناك من ادعى أن طريقة السلف هي التفويض كيف نرد عليهم؟ الجواب هؤلاء ضلوا إن قالوا ذلك عن جهل بطريقة السلف وكذبوا إن قالوا ذلك عن عمد قال شيخ الإسلام ابن تيمية إن القول بالتفويض من شر أقول أهل البدع والإلحاد فمذهب أهل السنة إثبات المعنى وتفويض الكيفية اهـ
سبحانك هذا بـهتان عظيم انظر عافاك الله كيف يخبطون في عقائدهم خبط عشواء ويعدون التفويض الذي هو مذهب السلف الصالح أنه من شر أقوال أهل البدع مع أن العامة والخاصة يعلمون أن إنكار التفويض فاتح لباب التشبيه والتجسيم ويخرج منكره عن دائرة أهل السنة والجماعة ويدخله في أوسع باب من أبواب المبتدعة عافانا الله وإياك عنها والتفويض الذي يرضون عنه هو تفويض الكيفية كما

ترى التي هي منـزهة عن الله سبحانه وتعالى وقد قدمنا من أقوال السلف في نفي الكيفية عن الله ما فيه كفاية فارجع إليه وقال في ص51: إن الطوائف من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ينكرون رؤية الله تعالى يوم القيامة اهـ هكذا دأبـهم أيها المسلمون من الافتراء البارد على أهل السنة والجماعة فنقول لهم أهل السنة هم الذين بنوا عقائدهم

على الكتاب والسنة وهذه كتب السادة الأشاعرة طافحة ومتظافرة على إثبات الرؤية لله تعالى قال العلامة إبراهيم اللقاني:

ومنه أن ينظر بالأبصار لكن بلا كيف ولا انحصار

وقال سراج الدين في ((بدء الآمال)) :

يراه المؤمنون بغير كيف وإدراك وضرب من مثال

وقال أبو البركات أحمد بن محمد:

واجزم أخي برؤية الإله في جنة الخلد بلا تناهي

ألا تستحيون من طلبة العلم الصغار الذين هم مثلي أن يفضحوكم ويتخذوكم أضحوكة وقال في ص55 عند شرحه حديث يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة ففي هذا الحديث إثبات الضحك لله عز وجل وهو ضحك حقيقي ثم قال بعد ذلك على

عادة تسترهم لكنه لا يماثل ضحك المخلوقين وهل ينفعك قولك هذا بعد أن وصفت الله تعالى بالضحك الحقيقي أليس هذا زيادة على النص ما لم يأذن به الله تعالى وقد قدمنا أن السلف الصالح ومنهم البخاري يقولون إن المراد بالضحك الرضا اللهم إنا نسألك السلامة في ديننا وعقيدتنا وقال في ص 38: ما يقول المعطل في قوله تعالى: {وجاء ربك} الجواب أنه يقول جاء أمر ربك اهـ

انظر عافاك الله كيف يسمون السلف الصالح معطلين لأنه قد ثبت عن أئمة السلف ومن بينهم الإمام الزاهد الورع إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل تأويل هذه الآية على أن المعنى وجاء ثوابه كما قد علمت سابقا فيأخذ بعض الطلبة المنحرفين هذه الخرافات فيعتقدونـها حقا فيقعون بسبب ذلك في أودية التشبيه والتجسيم اللهم توفنا على السنة والملة الحنفية.

وقال ابن تيمية في كتابه ((موافقة صريح المعقول لصريح المنقول)) جـ 2 ص 29 بعد أن ذكر قول الله تعالى: {الرحمن على العرش استوى} فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحد ومن لم يعترف به فقد كفر بتنـزيل الله وجحد آيات الله اهـ

وقال في الجزء الثاني ص5: قال عثمان بن سعيد وغيره: إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم اهـ قال الإمام البيهقي نقلا عن الخطابي في ((معالم السنن)): قد زل بعض شيوخ أهل الحديث ممن يرجع إلى معرفته بالحديث والرجال فقال: إن قال قائل: كيف ينـزل ربنا للسماء قيل: ينـزل كيف يشاء فإن قال هل يتحرك إذا نزل قال إن شاء يتحرك وإن شاء لم يتحرك وهذا خطأ فاحش عظيم والله تعالى لا يوصف بالحركة لأن الحركة والسكون يتعاقبان في موضع واحد وإنما يجوز أن يوصف بالحركة من يجوز أن يوصف بالسكون وكلاهما من أعراض الحدث وأوصاف

المخلوقين والله تبارك وتعالى متعال عنهما ليس كمثله شيء فلو جرى هذا الشيخ على طريقة السلف الصالح ولم يدخل نفسه فيما لا يعنيه لم يخرج به القول إلى مثل هذا الخطأ الفاحش. انتهى ما نقلته عن الحافظ البيهقي في ((الأسماء والصفات)) ص 419 والخطابي الذي نقل عنه البيهقي هذا الكلام الذي هو صاعقة على رؤوس المبتدعة الذين يثبتون لله الحركة هو أبو سليمان أحمد بن

إبراهيم الخطابي، له منـزلة كبيرة في علوم الحديث والفقه ومعرفة الغريب وله شرح على البخاري وسنن أبي دواد وهو من شيوخ الحاكم توفي سنة 388هـ
وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ((الفتح)) جـ13 ص410 عند شرحه حديث كان الله ولا شيء معه وهو أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية اهـ
ولقد تعجب بعض منهم من تلك المخازي والخرافات فرد بعضهم على بعض {يخربون بيوتـهم بأيدهم وأيدي لمؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار} ففي كتاب {البشارة والإتحاف} للعلامة حسن بن علي السقاف ص 10 قال الألباني في صحيحته جـ 1 ص 280
عن حديث إن أول شيء خلقه الله القلم ما نصه: وفيه رد على من يقول بحوادث لا أول لها وأنه ما من مخلوق إلا ومسبوق بمخلوق قبله وهكذا إلى ما لا بداية له ولقد أطال ابن تيمية في رده على الفلاسفة محاولا إثبات حوادث لا أول لها وكم كنا نود أن لا يلج ابن تيمية هذا المولج اهـ . وقال الألباني في مقدمة ((رفع الأستار)) وهو يرد

على ابن تيمية في قوله بفناء النار ص 25 فكيف يقول ابن تيمية ولو قدر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتة فكأن الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها الكفار المعاندين الطاغين أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده هو ومن تبعه عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة اهـ
وبالجملة فاحفظ أيها السني عقيدتك ولا تتبع سبل الذين اعتقدوا في الله الجهة والعلو الحسي لأنـهم أجروا الآيات التي تناسب اعتقادهم على ظواهرها وصرفوا الأخرى التي تعارض ما اعتقدوه
وأغفلوا المحكم القطعي الذي هو أم الكتاب وخاضوا في صفات الباري بغير حق واتبعوا المتشابه ابتغاء الفتنة وأسرفوا في ذلك وأتوا في أحاديثهم عنها بألفاظ لم يأذن بـها الله تعالى ولهم فيها كلمات خطيرة وإن تعجب فعجب قولهم، إن السلف الصالح كانوا يعتقدون الجهة والعلو الحسي سبحانك هذا بـهتان عظيم فوالله الذي لا إله غيره لم يقل سيد البشر صلى الله وسلم عليه: أيها الناس اعتقدوا أن الله في جهة العلو ولا خلفاؤه الأربعة قادة الأمة ولا أحد من السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بحان

ربك رب العزة عما يصفون، أسئل الله العظيم أن يجعل في الجنة قرارنا ويختم لنا بالخاتمة الحسنى ويجعل هذه الكتابة خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

تمت هذه الرسالة في الليلة الثامنة من رجب سنة ألف وأربعمائة وخمسة وعشرين 1425هـ.